

# أنفلونزا "أتش ١" تتجاوز حواجز الجغرافيا والخبرة مع الأوبئة تسهل التعاون دولياً لمواجهة الوباء

على إحداث جائحة، هو الفيروس «أتش ١» الذي ينتمي إلى سلالة جديدة. وبسرعة، أظهر هذا الفيروس قدرته على الانتشار بسهولة بين البشر والاستشراء داخل البلد الذي يُبلى به، والانتقال بسرعة إلى بلدان أخرى. وفي أقل من شهر، نخل إلى ٤١ دولة وأوقع حتى الآن أكثر من ١٠ آلاف حالة إصابة و ٨٠ وفاة. ومن المتوقع أن يتواصل الانتشار الدولي لهذا الفيروس. ويُخشى أن هذا الفيروس يشكل تهديداً عالمياً بحدوث جائحة فعلاً. إذ تبين أنه أشد وخامة من فيروسات الأنفلونزا الموسمية، إضافة إلى أن معظم إصاباته تركزت في فئة الشباب التي تعتبر أكثر الفئات إنتاجية في المجتمع.

لقد كان منطقياً للغاية بل وملحاً أن تبادر منظمة الصحة العالمية، منذ اللحظة الأولى إلى إطلاق تحذير دولي من هذا الوباء الجديد. إذ يمثل ذلك أولى مهام المنظمة في ظل اللوائح الصحية الدولية، لا سيما أن من بين الاحتمالات أن يواصل الفيروس مساراته الحالية في الانتشار على الصعيد العالمي مسبباً جائحة متوسطة المستوى، شبيهة بجائحة عام ١٩٥٧ التي أودت بحياة ما يتراوح بين مليون و ٤ ملايين شخص، أو أن يتخذ مسار جائحة ١٩١٨ الأشد خطورة والتي حصدت أرواح عشرات الملايين. وفي الحالتين كليهما فإن الأمر لا يحتمل التهاون أو المغامرة.

وتتمثل أهداف التحرك عالمياً في مواجهة ذلك الفيروس بإعطاء الأولوية لرصده، من قبل منظمة الصحة العالمية، عن كثب.

ويجدر التنبيه على حقيقة أن الوضع الراهن قد يتغير على نحو سريع. ولا يرجع ذلك إلى مبالغة في تقدير منظمة الصحة العالمية أو إدراكها للتهديدات الحالية، ولكنه يرجع ببساطة إلى أن نمط فيروس جائحة الأنفلونزا دائم التغير بطريقة لا يمكن التنبؤ بها.

وفي حال كهذه، يتوجب على المنظمة والدول الأعضاء فيها، الحفاظ على أعلى مستوى من التأهب واليقظة، ولا بد أن تتصدر قائمة الأولويات مسألة التوافر العادل والمتساوي للأدوية واللقاحات المتصلة بالفيروس الجديد لجميع البلدان، وذلك فور الانتهاء من إعداد اللقاح.

وفي هذا السياق، يؤكد المكتب الإقليمي لشرق المتوسط، في منظمة الصحة العالمية، أولوية العدالة الصحية باعتبارها هدفاً رئيساً ينصر عليه دستور المنظمة، ما يعني أنها أكثر إلحاحاً وأولى بالتطبيق في ظل الطوارئ الصحية وفي مواجهة الجائحة.

وفي سياق سعيه الدؤوب لتحقيق هذه العدالة، أجرى المكتب الإقليمي لشرق المتوسط الذي يضم في عضويته بلداناً عدة تمر بظروف استثنائية تؤثر في أوضاعها الصحية والاقتصادية، من خلال مكاتب التمثيل القطرية لمنظمة الصحة العالمية، تقيماً سريعاً للحاجات الحالية للدول الأعضاء بغية مواجهة التهديد الحالي لجائحة الأنفلونزا الجديدة كجزء من خطة التصدي العالمي، وأرسلت كميات من الأدوية



الجزائري الطفرات الجينية تؤدي دوراً مهماً في انتشار الفيروسات

الصحة العالمية باي حدث صحي من شأنه أن يربط مخاطر على الصحة العمومية، أي أنها عملية تبادلية تشارك فيها منظمة الصحة العالمية والبلدان الأعضاء على حد سواء. فما الذي يعطي الأنفلونزا خصوصيتها بين أنواع الأوبئة القابلة للانتشار عالمياً، المعروف أن قدرة أحد الفيروسات على إطلاق وباء يتحول إلى جائحة عالمية، تعتمد على مجموعة من الخصائص، منها أن تكون له قدرة عالية على الانتقال من إنسان لآخر، وأن تكون المناعة العامة للناس ضده في حدها الأدنى (أو معدومة)، وأن يظهر في ثوب جديد غير معروف للبشر.

ويشتهر فيروس الأنفلونزا بأنه من الفيروسات التي تتحور كثيراً، أي أنها تغير في تركيبية عناصرها الوراثية (الجينات). وتنتج هذه التحورات غالباً عن طفرات أو عن إعادة تزاوج أنماط حيوانية وإنسانية من الفيروس في المستودع عينه. وتؤدي هذه العملية إلى ظهور أنماط جديدة يتكون تركيبها الجيني من أصول متنوعة. ويعتبر هذا الخليط الفيروسي من الجينات مكمناً للخطورة والتهديد للأمن الصحي العالمي، فعندما لا يملك البشر مناعة ضد هذه الفيروسات المختلفة، يؤدي الأمر إلى نمط من الوباء يقدر على إصابة ما يتراوح بين ٣٠ و ٥٠ في المئة من المجتمعات التي تجتاحها، خلال مدة تتراوح بين سنة وثلاث سنوات.

## حسين عبد الرزاق الجزائري

■ يقف العالم على اعتاب جائحة (Pandemic) حدوث وباء على مستوى عالمي) لفيروس أنفلونزا «أتش ١» تسرعت نُذرها بالتالي على نحو لا يمكن تجاهله. ونهضت منظمة الصحة العالمية، باعتبارها الهيئة الرائدة في مجال الصحة على الصعيد الدولي، بواجبها في لفت الانتباه إلى الجائحة المحتملة. ومع تسارع وتيرة تطورات الوضع الوبائي لتلك الأنفلونزا، أعلنت المنظمة رفع مستوى الإنذار بالجائحة إلى المرحلة الخامسة من المراحل الست لنظام الاستعداد للإنفلونزا الجائحة.

ويفرض هذا الوضع ضغطاً هائلاً على كاهل البلدان والحكومات والمواطنين، بل يلقي بأعباء ثقيلة على كاهل منظمة الصحة العالمية، نفسها. ويثير الأمر أحياناً من السخط أكثر مما يجلب من الامتنان. غير أن ثمة حالات لا غنى فيها عن سلوك الطرق الوعرة، لا سيما عندما يكون الأمن الصحي العالمي مهددًا، وتوضع حياة الملايين وصحتهم واقتصاديات بلدانهم على محك صعب.

## تهديد الأمن الصحي عالمياً

مع التوثيق علمياً لموجات الأنفلونزا منذ القرن السادس عشر، تراكمت لدى العلماء خبرة في التعامل مع جوائح الأنفلونزا التي تواترت عبر القرون الماضية. ويات واضحاً أن العالم يشهد في كل قرن وقوع ثلاث جوائح تفصل بين كل منها فترة تتراوح بين عشر سنوات وخمسين سنة. وقد شهد القرن الماضي ثلاث جوائح في أعوام ١٩١٨ و ١٩٥٧ و ١٩٦٨. ويُنظر إلى جائحة ١٩١٨ باعتبارها الأشد وطأة على البشرية، خصوصاً في ما يتعلق بأعداد الضحايا الذين حصدهم الوباء والتي تراوحت أعدادهم بين ٣٠ و ٥٠ مليوناً. وفي المقابل، أدت جائحة «التهاب الرئوي غير التقليدي» (سارس، SARS) و «أنفلونزا الطنور» (التي يقودها فيروس «أتش ١» إلى إنهاك النظم الصحية عالمياً. وقدمتا درساً بليغاً في حتمية الاستعداد الجاد والمبكر لمواجهة الأوبئة المحتملة، وترصدها. ومنذ إنطلاق الشرارة الأولى لموجة الأنفلونزا الراهنة، تعاونت منظمة الصحة العالمية، مع البلدان الأعضاء على تفعيل شبكة عالمية من المراكز المتعاونة مع المنظمة تتوزع على مناطق العالم المختلفة، ويمثل كل منها عيناً لمراقبة فيروسات الأنفلونزا التي يمكن أن يظهر منها فيروس يسبب جائحة عالمية.

ومن خلال هذه الشبكة يجري التعرف إلى الفيروسات وعزلها وتحديد أنماطها والسلالات المختلفة منها. يتعرض الأمن الصحي العالمي أداً لتهديدات تفرضها المخاطر الصحية العمومية القادرة على الانتشار عبر الحدود وتهديد أهل المعمورة. ويات

الأمراض، خصوصاً في ظل تسارع العولمة، قادرة على الانتشار على نطاق واسع وبلوغ أماكن بعيدة عبر وسائل النقل وحركة التجارة على الصعيد الدولي. وإذا نشأت أزمة صحية في بلد ما، فإن آثارها يمكن أن تمتد إلى أسباب رزق الناس والاقتصادات في كثير من المناطق الأخرى. ومن المحتمل أن تنشأ أزمات من هذا القبيل بسبب أنواع الأوبئة المستجدة مثل مرض «سارس» أو «أنفلونزا الطيور» أو غيرها. وقد أتى النص على ذلك في اللوائح الصحية الدولية التي وافقت عليها 194 دولة ودخلت حيز التنفيذ اعتباراً من عام 2007. وتسعى تلك اللوائح لحماية الأمن الصحي العالمي وتعزيزه، من خلال وضع الدول في أعلى درجات الاستعداد، لتحقيق أفضل تصد ممكن للخطر المحتمل. ولعل من المفيد التذكير بأن اللوائح الصحية الدولية تلزم بالقرن نفسه البلدان الموقعة عليها بإبلاغ منظمة

ويستمر مجوم تلك الفيروسات في شكل موجات يصيب كل منها فئات من الناس بعينها، إلى أن تتشكل مناعة لدى البشر ضدها، فتقل نسبة الإصابة إلى الحدود المعروفة للإصابة بالفيروسات، أي ما يتراوح بين 3 و5 في المئة. وعندما ظهر فيروس «أتش 15» المسبب لأنفلونزا الطيور، بدا كأنه الفيروس المرشح لإحداث جائحة. فالحق أنه فيروس جديد اجتاز الحاجز الطبيعي الذي يفصل بين نوعين مختلفين من الكائنات الحية (الطيور والبشر)، على رغم أن قدرته على التنقل من إنسان لآخر لم تتطور عما كانت عليه عندما بدأ ظهور حالات إصابة به بين البشر.

#### على شفا جائحة

في الأونة الأخيرة، ظهر فيروس يملك قدرة كبيرة

تلك الدول كذلك تقود «منظمة الصحة العالمية» جهوداً جبارة مع البلدان الأعضاء لمواصلة الزخم الذي تولد من مواجهة هذا الفيروس لحد الآن، لضمان عدم الارتكان إلى الخمول أو التراخي في تطبيق خطط الاستعداد والتصدي.

ولا بد من التأكيد أن الاستعداد الجيد لا يستهدف الآن منع وقوع الجائحة، فهذا أمر ما من سبيل إليه بعد التطورات الوبائية الأخيرة، بل يستهدف جملة من الأمور الإيجابية منها خفض نسبة الإصابة وحالات المرض الشديد والوفيات التي تنجم عن الجائحة، وكذلك الحد من الاضطراب الذي يمكن أن تحدثه الجائحة في مسار حياة الملايين من الناس، إضافة إلى الحد من العواقب الاقتصادية السلبية التي تنجم عن رد الفعل المفرط إزاء الجائحة، أي الذهاب بعيداً في اتخاذ الإجراءات الاحترازية، مثل تقييد السفر والتنقل والتجارة (وهذا الإفراط لا ننصح به المنظمة، وإن كانت تترك أمره لكل دولة في ضوء ما تراه مناسباً). وأخيراً تفعيل جميع الخطط التي تمكن مؤسسات الرعاية الصحية من تحمل العبء المرضي الإضافي والتعامل معه بكفاءة مقبولة.

ولأن «منظمة الصحة» تمثل وكالة عالمية متخصصة، فإنها تملك قائمة محكمة بالتدخلات التقنية التي تمثل سبيل تحقيق الأهداف المنشودة. وكذلك يجدر التأكيد على أن نقطة الانطلاق الأساسية في تلك المساعي، تتجسد في تعزيز التضامن العالمي في التعامل مع هذا التهديد وإقامة جبهة صلبة من شأنها تطبيق التدخلات المقترحة في إطار تكاملي يحد من الأعراض الجانبية لهذه التدخلات. وتتضمن التدخلات المقترحة على تقوية نظام الترصد العالمي لانتشار الفيروس والتعرف إلى خصائصه بهدف التوصل إلى معلومات تساعدنا في تحديد إمكاناته الجائحة، ثم متابعة تحوره لتحديد قدراته المرضية واستفراد سلالاته لمعرفة أيها أكثر ملاءمة لتصنيع اللقاح المضاد، وإعداد التوصيات الملائمة وفقاً للشكل الوبائي على الصعيد البيداني ومراسل الجائحة، بما يحقق الاستخدام الأمثل للتدخلات الصيدلانية وغير الصيدلانية.

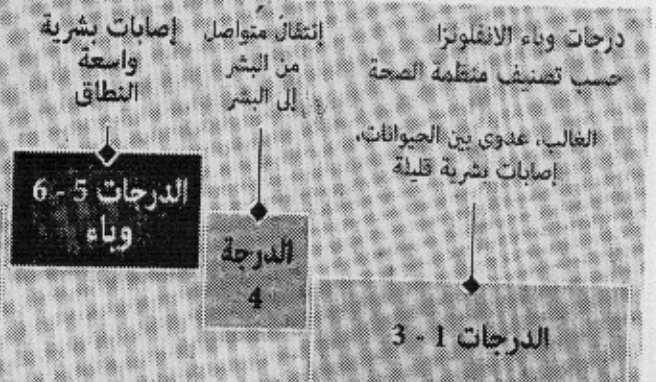
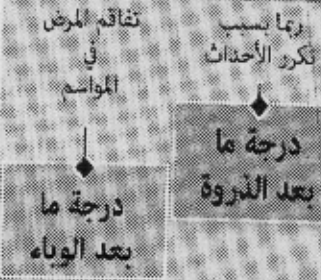
ومهما يكن من أمر فليس من المتوقع التوصل إلى لقاح مناسب، إلا بعد أشهر عدة على الأقل.

وعندما تعلن «منظمة الصحة العالمية»، وتكرر أن العالم الآن أفضل استعداداً من أي مرحلة سابقة في تاريخه لمواجهة الجائحة المحتملة، فإن هذا ينطلق من وقائع ملموسة، في مقدمتها النجاح فعلياً في تنشيط الترصد العالمي، ما يعني إفقاد الفيروس عنصر المباغتة والمفاجأة الذي مكن الجوائح السابقة من إيقاع خسائر لا يستهان بها.

✦ مدير «المكتب الإقليمي شرق المتوسط» في منظمة الصحة العالمية

## منظمة الصحة العالمية: انتشار الوباء «حتمي»

حذرت منظمة الصحة العالمية أن العالم على شفا تفشي وباء أنفلونزا الخنازير القاتل ورفعت الإنذار إلى الدرجة الخامسة نتيجة ارتفاع عدد الإصابات المؤكدة حول العالم



**الدرجة 4** تؤكد انتقال الفيروس من البشر إلى البشر يمكن أن يسبب تفشياً بين المجتمعات البشرية. زيادة مستوى الخطر لانتشار الوباء،

**الدرجة 5** انتقال الفيروس من البشر إلى البشر في دولتين على الأقل في المنطقة الواحدة من مناطق توزيع مكاتب وزارة الصحة العالمية الست. إشارة قوية لتفشي الوباء

**الدرجة 6** انتقال الفيروس إلى دولة أخرى في منطقة أخرى من مناطق وزارة الصحة العالمية. الوباء العالمي وشيك الحدوث

**الدرجة 1** الفيروسات المنتقلة من الحيوان إلى الحيوان لا تسبب العدوى في البشر

**الدرجة 2** الفيروس في الحيوان ينتقل إلى البشر ويعتبر وباء خطير محتمل الوقوع

**الدرجة 3** تسببت الأنفلونزا بإصابات متفرقة بين البشر من دون انتقال معتبر من البشر إلى البشر

GRAPHIC NEWS

التصور: أب

المصدر: منظمة الصحة العالمية